بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الخميس ٧ شوال ١٤٣٩ هـ / ٢١ حزيران ٢٠١٨ م العدد ١٨٢

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوى وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾

المرجع اليعقوبي لدى لقائه مع المستشرق الفرنسي: الإسلام هو مؤسس المدنيّة في البلاد العربية وقائد الحضارة الإنسانية على مدى قرون

استقبل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الباحث الفرنسي جيل كيبيل (١) المتخصص بشؤون الجماعات الاسلامية ومكافحة التطرف بمعهد الدراسات السياسية بباريس والوفد المرافق له بمكتبه في النجف الاشرف.

وقد حرص الضيف على ان يكون لقاء المرجعية احدى اهم محطات زيارته الاولى لمدينة النجف الاشرف للاسترشاد برؤيتها وآرائها حول مستقبل المنطقة ازاء موجة التكفير والتطرف التي عصفت بها في السنين الاخيرة والتي تتخذ الدين الاسلامي (زورا) غطاء لحركتها وممارساتها، كما اهتم الضيف بمعرفة انطباع المرجعية الرشيدة ودورها تجاه تحديات بناء الدولة العراقية.

وفي معرض بيانه لبعض الاسس الفكرية والعقدية التي يرتكز عليها مذهب اهل البيت (عليهم السلام) والتي تضمنتها اسئلة السيد جيل اوضح سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) ان الفكر الشيعي قائم على اساس احترام الانسان بل حتى غير الانسان فقد ورد في الحديث القدسي (الخلق عيالي وأحبهم الي أشفقهم على عيالي) وكلمة الخلق هنا تعبر عن مطلق الخلق ولا تختص بالإنسان.. كما ورد ايضا في الحديث القدسي (المؤمن اشد حرمة من الكعبة).. فالإسلام وفق منظور مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) قائم على احترام الاخر واشاعة ثقافة الاعتدال والتسامح والسلام.. بل ذهب الى ما هو أبعد من السلام وهو التعامل بمحبة وود فيما بيننا، ورد في الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) (وهل الدين الا الحب)(٢).

كما لفت سماحته (دام ظله) الى ان الاسلام يعتمد الحوار كمبدأ أساسي يرتكز عليه حتى مع الخصوم، وقد تجلى ذلك في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والائمة من اهل بيته (عليهم السلام) فترى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو الخليفة الشرعي الذي اجمع عليه المسلمون يحرص على عدم اراقة الدماء وحفظ ارواح الناس ويستمر عاما كاملا في مراسلة معاوية ووعظه وارشاده (بالرغم من عناده وتمرده على الخلافة الشرعية) قبل خوض الحرب معه، كما ارسل (عليه السلام) ابن عمه الصحابي عبد الله بن عباس لمحاورة الخوارج وتذكيرهم ووعظهم حتى نجح في اقناع ٦٠٠٠ منهم من اصل ٩٠٠٠ واعادتهم الى جادة الحق.

واشار سماحته في حديثه الى مثال حي في وقتنا الراهن وهو دعوته الى معالجة التطرف الفكري والديني وتكفير الاخر بمعالجة الجذور الفكرية لهذه التيارات وحلحلة العقد التي يرتكزون عليها في شرعنة تصرفاتهم عبر فتح باب الحوار الذي يمكن ان نصل معه الى حل، فإن معظم المتطرفين مصابون بالتشويش في عقولهم وافكارهم مغلوب عليها والدخول معهم في صدام عسكري قبل السعي الى اصلاح افكارهم يعتبر خسارة.

وكرر سماحته دعوته لإخواننا اهل السنة بفتح باب الاجتهاد الذي اغلق عندهم منذ عصر ائمة المذاهب لمنح شهادة الاجتهاد للمؤهلين وتضييق دائرة الافتاء العشوائي وضبطها وحصرها عند المؤهلين لذلك علميا واخلاقيا وهما شرطا الاجتهاد والعدالة عندنا.

وفيما يخص دور المرجعية الدينية أكد سماحته على حرص مراجع الدين على حفظ وحدة الوطن وحفظ المصالح العامة للشعب وارشادهم لما فيه صلاحهم وترصين مبدأ التعايش المجتمعي وترسيخ روح المواطنة لدى ابناء البلد والتي نجدها حاضرة وظاهرة بين ابناء البلد بمختلف مذاهبهم وقومياتهم في المواقف والمناسبات الوطنية والتحديات الامنية وغيرها. وشدد سماحته على ان المرجعية الدينية تستشعر مسؤولياتها تجاه الوطن وابنائه ولكنها لا تتدخل في تفاصيل الوضع السياسي وهي ليست جزءا منه البتة، وانما يكون تدخلها لأجل حفظ مصالح الناس وارواحهم، وفي المنعطفات الحساسة كدخول داعش الى العراق وغيرها من المواقف.. وهذه رؤيتها لدورها في الواقع الحالي، وابدى سماحته تحفظه على محاولات البعض للتفريق بين الاسلام والمدنية وجعله مقابل المجتمع المدني والدولة المدنية مقابل الدولة التي تستقي قوانينها من احكام الاسلام، وأوضح (دام ظله) على ان الدين الإسلامي هو مؤسس المدنية في البلاد العربية، وقائد الحضارة الانسانية على مدى قرون فالمتتبع لأحوال العرب قبل الاسلام لا يجد الا شراذم متناحرة فيما بينها واصبحوا بالإسلام دولة حضارية مترامية الأطراف، وعادوا الى ركب الحضارة وتولدت الثقافة لديهم ونضجت رؤاهم، واصبحوا رواد وقادة الركب الإنساني. ولفت (دام ظله) الى ان الكثير من المبادئ الانسانية التي نحترمها وتتفاخر بها بلاد الغرب نجد جذورها في الاسلام.. وما تراجع المسلمون عن انسانيتهم ومدنيتهم الا بسبب تركهم لمبادئ وقيم الدين الاسلامي العظيم، مؤكدا على النظرة الشاملة المتكاملة للدين الاسلامي.. فهو دين بناء وعمارة وسعادة للنفوس والبلدان وحضارة وتمدن. وفي نهاية اللقاء اعرب الضيف عن امتنانه وتقديره لسماحة المرجع اليعقوبي بسعة صدره وشكره لما تفضل به.

هذا وحضر اللقاء عدد من كبار المسؤولين في وزارة الخارجية العراقية التي رتبت الدعوة للضيف.

* الاربعاء غرة شعبان المعظم ١٤٣٩ - الموافق: ١٨-٤-٢٠١٨

(١) يشغل جيل كيبيل منصب أستاذ ورئيس برنامج الدراسات الشرق أوسطية والمتوسطية في معهد الدراسات السياسية بفرنسا، حيث يشرف على البرامج الأكاديمية حول العالمين العربي والإسلامي في مستويات الدكتوراه والماجستير والبكالوريوس. وهو أيضا مؤسس شبكة يوروجولف Euro golfe عام ٢٠٠٢، ويشغل حاليا منصب رئيس مجلس إدارتها، وكان استاذا زائرا لدى جامعة نيويورك وجامعة كولومبيا في الفترة ١٩٩٥ ــ ١٩٩٦. وهو حاصل على شهادات علمية في اللغتين العربية والانجليزية، والفلسفة، ويحمل بكالوريوس العلوم من معهد الدراسات السياسية ودرجة الدكتوراه في علم الاجتماع والعلوم السياسية.

(٢) الخصال ٢١ / ٧٤.

﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾(٣) (محمد: ١١)

المولى بمعنى الولي الذي له ولاية ما خاصة كولاية السيد على العبد او عامة كولاية الله تعالى على خلقه في التصرف والتدبير وله سبحانه ولاية التشريع وهداية العباد إلى ما يصلح شؤونهم، والظاهر انها هنا تشير الى ولاية النصر والتأييد.

والآية تبين واحدة من ثمرات الايمان بالله تعالى وأحد الفروق بين المؤمنين وغيرهم وهو ان للمؤمنين مولى وربا يرعاهم ويدبر شؤونهم ويهديهم وينصرهم ويسددهم ويرشدهم ويشفق عليهم ويرحمهم بالرحمة والرعاية الخاصة (أما الولاية العامة فشاملة لجميع المخلوقات) قال تعالى ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (يونس: ٣٠).

أما غير المؤمنين بالله تعالى سواء كانوا من المنكرين للخالق والملحدين والمشركين الذين يعبدون آلهة أخرى من دون الله تعالى- وهو عنوان يشمل في بعض مراتبه الذين هم مسلمون بحسب العنوان الا أنهم عمليا لا يعبدون الله تعالى وإنما يطيعون شهواتهم ونزواتهم وغرائزهم وما تدعو إليه انانيتهم ويقدسون رموزا ويطيعونها من دون عرض أفعالهم على ما يريده الله تعالى ويرضاه- فهؤلاء قد يكون لهم مولى وناصر ومعين من سلطة أو عشيرة أو مال أو جاه أو حزب أو قوى خارجية يسمونها بالعظمى أو غيرها كقول المشركين للمسلمين يوم أحد ((لنا العزى ولا عزى لكم)) فاجابهم المسلمون ((الله مولانا ولا مولى لكم)) الا أن الآية الكريمة تعتبر هؤلاء الموالي أوهاما لا قيمة لها وتنفي وجودهم على نحو الحقيقة ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ فكأنهم لاشيء وهم كذلك، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١) وإذا أثبتت آيات أخرى ولاية لهؤلاء فأنما هي ولاية الاغواء والاضلال والافساد ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٢) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧) فمن لم يكن مولاه ومعبوده ومطاعه الله تعالى فان الهه هواه والشيطان شاء ام ابى ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان: ٤٣) وان اعطى عناوين محببة لها كأن يسمون اتباع الاهواء الشخصية غير المنضبطة بالحرية وهي في الحقيقة عبودية للهوى.

ويذكر القرآن الكريم الفرق بين المنهجين في الطاعة والاتباع كقوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

ولتقريب هذا الفرق بين الولايتين تصور وجود أطفال لهم أب يربيهم ويرشدهم ويصرف عليهم ويرعاهم ويدافع عنهم ويوفر لهم أسباب الحياة الكريمة، وأطفالا آخرين أيتاما ليس لهم من يعيلهم فهم في ضياع واحتياج وحرمان قد سقطوا في حبال عصابة شريرة مفسدة فاستخدمتهم لأغراضها الشيطانية، مع ان حاجتنا إلى رعاية الله تعالى لا تقارن بحاجة الأطفال إلى أبيهم أو أمهم.

وتبين الآية التالية محل البحث النتيجة التي سيؤول إليها أمر الفريقين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢) ومظاهر هذه الولاية الإلهية في حياة الانسان لا تعد ولا تحصى، نجد في دعاء الافتتاح بيانا لجوانب منها (فكم يا إلهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، ورحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد فككتها)(٤).

ومن مظاهر هذه الولاية الإلهية للناس انه تعالى أنزل لهم شريعة سمحاء تتكفل بسعادتهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة، وهذه الولاية يتنعمون فيها وبها حتى وهم في أشد الظروف قسوة ولعلهم يجدون في أنفسهم شيئا لأن الله تعالى لم يستجب لدعائهم ﴿فإن أبطاء عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي أبطاء عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور﴾ فأنه تبارك وتعالى لم ولن يتخلى عنهم ولا يخلفهم وعده ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥) ولكن التأخير لمصلحتهم أما في الدنيا أو في الآخرة، بينما يتخبط غير المؤمنين بقوانين وأنظمة تجلب لهم الشقاء والتعاسة.

وهذه الولاية الإلهية مستمرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة ما بعد الموت، قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧) وقال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١) وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٣-٦٤) واذكر لكم مثالا على ولاية الله الشفيقة بعباده بعد الموت (روي أن موسى (عليه السلام) لما دفن أخاه هارون عليه السلام ذكر مفارقته له وظلمة القبر فأدركته الشفقة فبكى فأوحى الله تعالى إليه (ياموسى لو أذنت لأهل القبور أن يخبروك بلطفي بهم لأخبروك ياموسى لم أنسهم على ظاهر الأرض أحياء مرزوقين أفأنساهم في باطن الارض مقبورين؟ ياموسى إذا مات العبد لم أنظر إلى كثرة معاصيه ولكن أنظر إلى قلة حيلته) فقال موسى (عليه السلام): يارب من اجل ذلك سميت أرحم الراحمين؟)(٥).

وفي المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين (عليه السلام) (إلهي لم يزل برك علي أيام حياتي فلا تقطع برك عني في مماتي) أما البعيدون عن الله تعالى على اختلاف اشكالهم فأنهم حرموا أنفسهم من هذه الولاية الإلهية الخاصة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل: ١١٨) ومع ذلك فان الله تعالى لم يتخلى عنهم ولم يمنعهم من رحمته الواسعة (يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة) وبدلا من ان يشعرهم هذا بالخجل والحياء من رب العالمين ويدعوهم إلى العودة إليه سريعا فأنهم يتمادون في غيهم وعصيانهم وابتعادهم عنه تبارك وتعالى ﴿فلم أر مولى كريما أصبر على عبد لئيم منك علي يارب، إنك تدعوني فأولي عنك، وتتحبب إلي فأتبغض إليك، وتتودد إلي فلا أقبل منك، كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والاحسان إلي، والتفضل علي بجودك وكرمك، فارحم عبدك الجاهل، وجد عليه بفضل إحسانك إنك جواد كريم﴾(٦)

فليعتز المؤمنون بهذه النعمة الإلهية العظيمة وليقولوا كما قال الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه يوم عرفة مفتخرا بربه العظيم ((ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك)) وليجدوا وليجتهدوا في دعوة غيرهم إليها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١) ولتكن دعوتهم برفق ولين وحجة وبرهان ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

(٣) الخطبة الأولى لصلاة عيد الفطر السعيد لعام ١٤٣٩ الموافق ١٥/٦/٢٠١٨
(٤) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك
(٥) لم نجد الرواية في مصدر معتبر في حدود ما بحثناه
(٦) فقرات من دعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي شهر رمضان المبارك

﴿يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر﴾(٧) (المدثر: ١-٢)

المدثر أصلها المتدثر والمخاطب هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى ورد في الرواية(٨) أن من اسمائه ذلك ويعني عرفا من ألقى عليه كساء أو غطاء وتلفف به لأجل النوم أو وقاية من البرد ونحو ذلك، وهو في اللغة أوسع من ذلك إذ يعني التدثر ((تضاعف شيء وتناضد بعضه على بعض)) كما في معجم مقاييس اللغة أي تراكم وتكاثر شيء على شيء ولذا يطلق على المال الكثير: الدثر، فالمعنى الاوسع للمتدثر هو المحاط والمتغطي بما يمنعه من الحركة والفعالية سواء كان ماديا كما يفهم العرف أو معنويا كالكسل والترف وحب الراحة والخوف والقلق والاغلال الدنيوية التي تعيق الحركة نحو التكامل مثل المال والمكانة الاجتماعية والأمل والولد وغير ذلك.

فالآيات الكريمة تأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بأن ينهض من دثاره ويقوم بالانذار وتبليغ الرسالة الإلهية التي كلف بها، ويشهد سياق الآيات أنها من أوائل ما نزل من القرآن الكريم حتى روى بعضهم أنها أول ما نزل منه ففسر الدثار بأنه ((اعتزاله (صلى الله عليه وآله) وغيبته عن النظر فهو خطاب له بما كان عليه في غار حراء))(٩)، لكن ما ورد في سبب نزولها وتعرف النبي (صلى الله عليه وآله) على الوحي النازل عليه من قبل، مضافا إلى تضمن الآيات لتكذيب قريش يدل على أنها مسبوقة بآيات البعثة النبوية الشريفة، فربما كانت الآيات الأولى التي أمرت بإعلان الدعوة إلى الإسلام والجهر بها بعد ان كانت سرية في بداياتها، أو ان المقطع الأول من السورة نزل أولا قبل التكذيب لإعداد النبي (صلى الله عليه وآله) للمسؤولية القادمة شأنها في ذلك شأن مطلع سورة المزمل من دون ان تدل على ان حالة التدثر أو التزمل موجودة فعلا وبذلك يصح القول بأنها أول ما نزل من القرآن بعد العلق أو هي والحمد ونحو ذلك.

ويمكن أن يراد بالدثار مرحلتين زمنيتين من مراحل الرسالة الإسلامية:

الأولى: بعد نزول الوحي مباشرة حيث امتلأ النبي (صلى الله عليه وآله) هيبة من ثقل الرسالة التي كلف بها وحلت به رعشة وقشعريرة فتدثر وهنا جاءه الأمر بأن يتجاوز هذه الحالة ويستعد نفسيا وروحيا لحمل الرسالة الإلهية.

روى في الدر المنثور عن البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم بالإسناد عن يحيى بن أبي كثير قال (سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك قلت له مثل ما قلت، قال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: جاورت بحراء فلما قضيت جواري فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت: دثروني فدثروني، فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر إلى قوله: والرجز فاهجر)(١٠).

الثانية: بعد ما لاقاه النبي (صلى الله عليه وآله) من تكذيب قريش واستهزائهم بالرسالة وتحشيد المجتمع ضد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فبلغ به الغم والضغط النفسي مبلغا كبيرا فتدثر بسبب الشعور بالاحباط لالتقاط الأنفاس كما يقال والتخفيف عن نفسه الشريفة فأمره الله تعالى أن يخرج من حالة الانكفاء على الذات وان لا يكترث بجمعهم وحشدهم وقوتهم فإن الله تعالى سيتكفل بدحرهم جميعا ولينطلق هو (صلى الله عليه وآله) بمشروعه الإلهي.

روى في الدر المنثور بسنده عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما، فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، (وأجمع قولهم على أنه سحر يؤثر) فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فحزن وقنع رأسه وتدثر، فأنزل الله، عزوجل ﴿يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر﴾ (المدثر: ١-٧)

فالآيات الكريمة فيها معنى كنائي وتعبير عن الانتقال من مسؤولية العمل على إصلاح الذات وتهذيب النفس- حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله) يتعبد لوحده- إلى مسؤولية العمل الاجتماعي وإصلاح الأمة والفرق بينهما واسع بحيث ان الأول كالقعود مقابل القيام والآن انتهى زمن القعود والخلو عن المسؤولية الكبيرة وحان زمن العمل.

وفي ضوء هذه الرواية والتفسير فان الآيات الكريمة تفيد ان اشعال الحروب والتعامل بقسوة وبطش وخلق العراقيل متوقعة ممن يخافون على مصالحهم من كل أصحاب الدعوات الرسالية وليس دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) فقط فلا يصح مواجهتها بالتوقف عن العمل والانحسار والانغلاق على الذات لأن العمر أقصر من ان يضيع بالقعود والتدثر والنفس ميالة إلى الدعة والراحة فلابد من ملئ الحياة بالقيام والنهوض والحركة والاقدام واقتحام الصعاب وتعبئة كل الطاقات المادية والمعنوية وإبلاغ الرسالة ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨) ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣) ولابد من ان القيام لله تعالى وإن كان الشخص صالحا في نفسه وملتزما بالشريعة الا ان هذا لا يكفي بل عليه ممارسة الإنذار والإصلاح للمجتمع مادام في المجتمع باطل وانحراف وفساد حيث يجب عليه تغييره والنهي عنه وهو المعنى الذي تفيده سورة العصر وغيرها. والسمة الواضحة لهذه الرسالة الإنذار والتخويف من عاقبة الخروج عن أوامر الله تعالى ونواهيه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم: ٩٧) ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (القصص: ٤٦) وعدم ارسال النذر اليهم يشعرهم بالطمأنينة والراحة ونسيان الله تعالى ﴿حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ (الأعراف: ٩٥) فان العامة لا يصلحهم الا الخوف، روي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح إلا خائفا ولا يصلحه إلا الخوف)(١١) ثم تأتي البشارة بعد التخويف والإنذار.

وفي هذا الإنذار التنبيه إلى الخطر القريب في الدنيا والآخرة رحمة للناس لأن الله تعالى غني عنهم لكن شفقته على عباده أوجبت أن يواتر إليهم رسله بالإنذار ليجنبهم المخاطر.

وتذكر الآيات التي تليها الأسس التي يرتكز عليها العاملون الرساليون الذين يسعون إلى الاصلاح في دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى، نشير إليها باختصار:

١. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر: ٣) ان تؤمن بان الله تعالى أكبر من ان يوصف ولا يعجزه شيء وكل قوة مهما كانت عظيمة فهي أمامه أوهن من بيت العنكبوت فلا موجب للخوف من أي قوة معارضة تمتلك المال والسلطة والجيوش لأن الخوف سيؤدي إلى المداهنة والتخلي عن المبادئ وهذا يعني الهزيمة، وعلى المؤمنين العاملين أن يكونوا كما وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)(١٢) وعليهم أن يسقطوا من اعتبارهم كل ما دون الله تبارك وتعالى ولا يجعلوه من اهتمامهم.

٢. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤) ويمكن فهمها على ظاهرها أي تطهير الثياب وهو صحيح موافق للأحكام الشرعية أو عدم إطالة الثياب فتخط في الأرض كما في بعض الروايات، ولعل المراد بها المعنى الكنائي ويكون المراد من تطهير الثياب الاتصاف بالنزاهة وعفة اللسان واليد والجوارح كلها وطهارة القلب وسمو الاخلاق وحسن السيرة والالتزام بأحكام الشريعة، وجامع هذه الخصال التقوى وقد وصف القرآن الكريم التقوى باللباس قال تعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ (الأعراف: ٢٦) وهذا التعبير متداول في اللغة العربية ففي خطبة الامام السجاد (عليه السلام) (أنا ابن نقيات الجيوب) وقال الشاعر في مدح أهل البيت (عليهم السلام)

مطهرون نقيات ثيابهم
تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا

ويطلق اللباس على الزوجة، قال تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧) فتكون الآية آمرة باختيار الزوجة الصالحة لأهمية دورها في حياة العاملين الرساليين من عدة جهات.

٣. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: ٥) فيجب تجنب كل أشكال المعاصي والمظالم وعدم الانجرار وراء الفتن ومكائد الشيطان وأهواء النفس الأمارة بالسوء وعليهم التثبت مما يقال وعدم مداهنة الظالمين والجائرين.

التتمة في الصفحة الرابعة

(٧) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد عام ١٤٣٩
(٨) روى الكليني عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: قال لي: كم لمحمد اسم في القرآن؟ فقلت: اسمان أو ثلاث، فقال (عليه السلام): يا كلبي له عشرة أسماء، ثم ذكر منها ما في آية المدثر (راجع بحار الأنوار: ١٦ / ١٠١)
(٩) حكاه السيد الطباطبائي (قدس) في تفسير الميزان: ٢٠ / ٨٧
(١٠) الدر المنثور: ٨ / ٣٢٤ (١١) الكافي: ج ٢، ص ٧١ (١٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣ (١٣) نهج البلاغة كتاب ٥٣

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨)

شرحنا سابقا وجه الحاجة المستمرة إلى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠) وشرحنا معنى الاستعاذة وانها ليست مجرد تحريك لسان وإنما هي حالة معنوية يعيشها الانسان. وكان الأمر بالاستعاذة عاما لكن الملفت ان الله تعالى خص منه موردا واحدا بالذكر طلب فيه الاستعاذة وهو عند قراءة القرآن ولا سيما في الصلاة التي هي معراج المؤمن.

قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ واختيار وصف الرجيم له لزيادة التنفير منه وللتذكير بتمرده وعصيانه على الخالق العظيم مما اوجب رجمه وطرده.

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾ يشير الى حالة الابتداء بالقراءة وان كان بصيغة الماضي كما لو قلت اذا اردت الذهاب الى كذا فخذ معك كذا، ويمكن ان يراد به بعد الانتهاء من القراءة كما هو ظاهر صيغة الماضي، وكون الامر بالاستعاذة جواب الشرط فتحقيق معنى الاستعاذة مطلوب قبل وبعد واثناء تلاوة القرآن وكان العبارة ((لما تقرأ القرآن استعذ بالله من الشيطان الرجيم)) اما قبلها فلإزالة المعوقات عن التدبر في الآيات والاستفادة منها وخلق البيئة النقية لتلقي المعارف القرآنية وتوجيه كل المشاعر الى الله تعالى، واما اثناءها فلمنع الشيطان من التشويش وخلط الأفكار والايحاء بمعاني مخالفة لمراد المنزل العظيم كالذين قال تعالى فيهم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٥).

واما بعد القراءة فللمحافظة على ما حصل عليه من بركات القرآن الكريم علما وعملا.

في مصباح الشريعة عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (قراء القرآن يحتاج الى ثلاثة أشياء، قلب خاشع وبدن فارغ وموضع خال، فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان).

فشرط الاستفادة من القرآن الكريم وفهم معانيه تنقية نفس الانسان بالتقوى وتطهير القلب، في الحديث الشريف (لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماوات)(١٤).

(١٤) بحار الانوار: ٥٦ / ١٦٣

تحية إلى عشائرنا الأصيلة (١٥)

المقدمة

أبا البضعة الزهرا سلام يردد ... عليك متى ما الله في الارض يعبد
لنا خمس أوقات بأنك مرسل ... ينادي وجبريل ينادي ونشهد
فأي ربيع في ذكرى لمولد ... وفي كل آذان ربيع ومولد
اذا جيء بي يوم القيامة مثقلا ... بذنبي ووجهي فرط ما ارتبت أسود
وقد قيل لي ماذا لديك فإنني ... اقول لهم مهلاً لدي محمد

القصيدة

بنو قومي دجى خطب فلاحوا ... شموسا فجر منطقها فلاح
تجار بذيل عفتها بلاد ... وتشحذ حيثما رعدت صفاح
هم الباقون إرث الارض فيهم ... وأشباه الرجال أتوا وراحوا
وهم عدل المواقف حين تنزو ... على الوطن الصوارم والرماح
وهم شجر المضائف ان تزيى ... بهم ثمر الكلام نموا وفاحوا
وهم ان صيح من لقرى ومأوى ... اذا قحط تنفس نحن صاحوا
ذا ما الدين عز بهم تداعى ... كيان المدعين وما استباحوا
فذودوا عن حماه فليس يرجى ... له في البأس دونكم سلاح
وان الدين ان لم تحتضنه ... عشائرنا ستنهيه سجاح
جناحا منعة للدين انتم ... ونحن فلا يطير به جناح
بناء الدين تحرسه اسود ... كما يتميه فقه واصطلاح
وان بمرجعيتكم صلاحا ... كما قد كان بالهادي الصلاح
ردوها مونلا لمزيد وعي ... فليس لها بمنزلق مراح
ولا يتوعدنكم خنوز ... كلام الليل يمحوه الصباح
سلاما أيها الاتون نهرا ... تحدر من جوانبه السماح
أجنة ثورة العشرين حجت ... بهم للمجد ضاحكة بطاح
وذي نيقار في الأزمات رأس ... يشد بها لكل وغى وشاح
أتت ارض الغري ففي ثراها ... لمن عاشوا وغابوا مستراح
تواتر عن بني الهادي حديث ... صحيح قد أذاعته الصحاح
متين رؤية العلماء دين ... وآت لكل ذي نظر متاح

(١٥) القصيدة التي رحب بها فضيلة الشيخ حسين آل قحطان بزعماء عموم من محافظة ذي قار ورؤساء عشائر من محافظات الجنوب وفدوا لزيارة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يوم الخميس ١٨ ربيع الأول ١٤٣٩ المصادف ٧/١٢/٢٠١٧.

تتمة ﴿يا أيها المدثر ۞ قم فأنذر﴾

٤. ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر: ٦) فلا تعتد بنفسك ولا تثق بعملك ولا تمن به على الله تعالى ولا على الناس فان ما عندك هو من فضل الله تعالى ورحمته ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧) فالمن يبطل العمل ويحبطه ويعرض صاحبه لغضب الله تعالى فيمحوا اسمه من المؤمنين، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (وإياك والمن على رعيتك بإحسانك فإن المن يبطل الإحسان)(١٣) فاذا تواضع لله تعالى وعرف ان ما عنده توفيق من الله تعالى وواظب على الشكر عليه أغدق الله تعالى عليه المزيد من النعم.

٥. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ٧) لأن العمل شائك ويسير العامل في حقول من الألغام المادية والمعنوية حتى وصفت مواجهتها بالجهاد الأكبر فلابد من ان يتمسك بالصبر على الصعاب ليواصل الطريق ويثبت على خط الاستقامة وان يكون صبره في الله ولله تعالى.

إذن لنتأسى بالنبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الخطاب القرآني وننفض دثار الكسل والتردد وسائر الأمور المحبطة وننطلق في ميدان الدعوة الى الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة بعد ان نبني أنفسنا بالخصال الكريمة التي ذكرتها الآيات الشريفة.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول أو على عنوان البريد الألكتروني : yaqoobi@yaqoobi.com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي